

الحرف التراثية كمجال إبداعي للطفل المصري

Traditional handicrafts as a field of creativity for the Egyptian child

م.د/ داليا فؤاد محمود عطية

مدرس بقسم الديكور والعمارة الداخلية المعهد العالي للفنون التطبيقية - السادس من أكتوبر

Assist. Dr. Dalia Fouaad Mahmoud Attia

Lecturer at Interior Design and Architecture Department, Higher Institute of Applied

Arts, 6th of October

Daliafouad48@yahoo.com

ملخص البحث

لم يعد خافيا ان العالم يشهد تغيرات جذرية تكاد تعصف بثوابت الشعوب وموروثها الحضاري والاجتماعي ، وللدن من التأثير السلبي لهذه المتغيرات لابد من القدرة علي الفعل والمبادرة ، وفي هذا الخضم يأتي دور العقول المبدعة - إذا أعدت جيدا - في التصدي للمشكلات القائمة والمتوقعة لوضع الحلول الناجحة لها او تقليص أضرارها الي أدني حد ممكن . ولقد كرمت جميع الأديان السماوية عملية الابداع والابتكار حفاظا علي نعمة العقل التي كرمننا الله عز وجل بها ، ولهذا كان علينا ان نستثمر ما أودعه الله فينا من طاقات وقدرات ومهارات ابداعية وان نطور منها ، فالابداع ولا سيما الابتكار أصبح مطلبيا رئيسيا وهاما لتطور الامم وتقدمها ورقيا .

ولقد أرتبط نمو الوعي التصميمي في العديد من الدول بالتطور في آليات الصناعة والتكنولوجيا ، وقد أغفل الاهتمام بجوانب الابداع والابتكار - في المجالات الأخرى - ولا سيما عند الأطفال.

وتمثل مرحلة الطفولة أهم المراحل في حياة الانسان نظرا لما تتميز به من مرونة وقابلية للتعليم ونمو للمهارات والقدرات المختلفة ، ومنها ان الاطفال يميلون للتخمين والاستكشاف والتجريب ، ويعد الابتكار والابداع أهم الاشكال الراقية للنشاط الانساني حيث ان التقدم لا يمكن تحقيقه بدون تطوير للقدرات الابتكارية والابداعية. وفي هذه الظروف تبرز الحاجة الي من يقدمون إضافات ويدفعون عملية التطور قدما الي الأمام ، فتصبح العمليات الابداعية والابتكارية واستثارة الأفكار الجديدة بمثابة الأمل للمجتمعات التي تطمح للوصول الي مركز مرموق علي الصعيد الدولي.

وإذا كان الإبداع سمة فردية ، فان الانتاج في مجال فنون الحرف التراثية لا يكون فرديا، ويأتي دور التفكير الابداعي والابتكار في ان يدفع المبدع الي الانتقال من مرحلة النمطية التشكيلية الفطرية ، باعتبارها اتجاها عاما في الحرف التراثية ، الي ما هو أعمق من ذلك ، وأكثر تعقيدا مما هو مألوف وقائم ، بحيث يكون المبدع قادرا علي صياغة نغمة تشكيلية جديدة -وخامات جديدة واساليب جديدة- تتضافر مع تفاعل مفردات البناء العام للحرف التراثية .

أهداف البحث

- يهدف البحث الي توضيح المفاهيم الحديثة والتطورة الخاصة بعملية الكشف عن وتطوير وتنشيط ملكة الابداع والابتكار عند الأطفال من سن دخول المدرسة (5 سنوات) الي سن 12 سنة .
- التعرف علي علاقة التفكير الابداعي والابتكاري لدى الطفل المصري بمتغيرات المستوي الاجتماعي والاقتصادي والثقافي .
- بيان وتوضيح لاهمية ومميزات الابداع والابتكار في مجالات الفنون والحرف التراثية بغرض حث وتشجيع المسؤولين والمهتمين بالتطوير علي الاهتمام بها.

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في النقاط التالية :

- تركيز الضوء علي أهمية تنمية الابداع والابتكار في الفنون والحرف التراثية
- الاهتمام والتركيز علي قضية هامة لها تأثيرها في تدعيم الاقتصاد القومي وهي الاهتمام بالابداع والابتكار من الصغر ، وتقديم برامج تنموية للأطفال - الشريحة الرئيسية في المجتمع والمؤثرة فيه بدرجة كبيرة جدا - .
- ضرورة تحديد الوسائل المناسبة لتنمية القدرات الابداعية والابتكارية في فنون الحرف التراثية لدي الاطفال .
- توجيه أنظار المسؤولين الي الاهتمام بالأطفال -حيث ان أطفال اليوم هم شباب الغد وبناء المستقبل -وتنمية وتطوير بعض الجوانب الابداعية لديهم .

منهجية البحث

سوف يسلك البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال الاضطلاع علي المشكلة وتحديد معالمها ، وصياغة الفرضيات ، واستنباط ما يترتب عليها لتحديد ما وصل اليه هذا المجال الي الآن .

- **كلمات مفتاحية :** الابداع عند الاطفال ، الحرف التراثية ، تنمية الابداع ، الارتقاء بالحرف التراثية

Abstract:

It is no longer a secret that the world is witnessing grave changes that are almost trampling on peoples' principles and their cultural and social heritage, To reduce the negative impact of the variables, it is necessary to be able to act and initiative, In this context comes the role of creative minds - if prepared well - in addressing the problems existing and expected to develop successful solutions or reduce the damage to the minimum possible.

All religions have honored the process of creativity and innovation in order to preserve the grace of the mind that God honored us with, and we had to invest in what we have invested in the energies, abilities and creative skills that we develop. Creativity, especially innovation, has become a major and important demand for the development of the nations and their advancement.

The growth of design awareness in many countries has been linked to the evolution of industry and technology mechanisms, and has neglected the attention to creativity and innovation - in other areas - especially in children.

Childhood is the most important stage in human life because of the flexibility, the ability to learn and the growth of different skills and capacities, including that children tend to guess, explore and experiment, Innovation and creativity are the most important forms of human activity, as progress cannot be achieved without the development of creative and innovative capabilities.

In these circumstances, there is a need for those who add additions and push the process forward. Creative and innovative processes and new ideas are the hope for societies aspiring to reach an international status.

If innovation is an individual trait, production in the field of traditional art is not individual. The role of creative thinking and innovation comes in pushing the creative to move from the primitive form of plasticity, as a general trend in traditional crafts, to deeper, more complicated Which is familiar and existing, so that the creator is able to formulate a new tone - new colors and new methods - combined with the interaction of the vocabulary of the construction of the traditional character.

- **Keywords: creativity in children, heritage crafts, creativity development, upgrading heritage**

المقدمة

يشهد العالم في عصرنا الحاضر بعض التغيرات الجذرية، التي تؤدي الى تراجع الثوابت والموروثات الإجتماعية والثقافية للامم ، ومن ثم فلا بد من مواجهة ذلك للحد من هذا التأثير السلبي، فمن هذا المنطلق تأتي أهمية الاعداد الجيد للعقول الخلاقة المبدعة، لكي تقوم بدورها في حل المشكلات القائمة او المستقبلية ووضع حلول ملائمة تسهم في الحفاظ على الموروثات الاجتماعية، وخاصة أن جميع الأديان السماوية أهتمت بعملية الابداع في كل المجالات الحياتية، وذلك تكريما لنعمة العقل التي آثرنا بها الله عز وجل دون جميع مخلوقاته، ومن ثم فكان على الانسان ان يستثمر هذه المهارات والقدرات والطاقات الابداعية التي حباها بها الله دون سائر المخلوقات، وعليه فان عملية الابداع أصبحت من المطالب الأساسية الهامة للارتقاء بالدول وتطورها او رقيها لتطوير الدول المتخلفة.

ان تطور التكنولوجيا دفع الى تطوير المجالات الصناعية التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بتطور الوعي التصميمي، ولكن دون الاهتمام باكتشاف او تطوير نواحي الابداع عند الأطفال، حيث تعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل نمو الانسان سواء جسديا او فكريا، لأنها تتميز بالمرونة والنمو للمهارات والقدرات الفردية والجماعية وسرعة القابلية للتعلم، وذلك لان من صفات هذه المرحلة العمرية الميل الى حب الاستطلاع والاستكشاف والتجريب، وتعد عملية اكتشاف وتنمية وتطوير القدرات الابداعية وسيلة هامة لتحقيق التقدم في جميع المجالات المختلفة، مما يستدعي الاهتمام بالطفل من أجل التطور والرقي، لذلك أصبحت فكرة استثارة الافكار الجديدة، واستثمار عمليات الابداع هي غاية الشعوب لإعداد أجيال مبدعة، في ضوء ذلك يجب تعديل منظومة الطفولة المصرية باعتبار أن الطفل يملك نشاطا حركيا يدفع عمليات الابداع بالمبدعين الى تغيير التفكير التشكيلي النمطي الفطري، وباعتبار أن الاتجاه الاساسي في الحرف التراثية، يعمل على أن يكون المبدع قادرا علي صياغة نغمة تشكيلية جديدة، تتضافر مع تفاعل مفردات البناء العام للحرف التراثية، فمن هذا المنطلق يحاول الباحث أن يستفيد من القدرات الابداعية لدى الطفل في مجال الحرف التراثية.

مشكلة البحث

يظهر الابداع بشكل أساسي في مرحلة الطفولة، حيث يتمتع الأطفال فطريا بالدكاء الذي ينتج عنه الشغف لاستكشاف كل ما لا يعرفه والشغف للمعرفة والفهم والتجريب والتعلم من الاخطاء، مما يساعده على اكتساب الخبرات المختلفة حتى يتكيف مع بيئته من خلال التعرف على كل ما يحيط به من المهارات والقواعد العامة.

وان فلسفة التربية في مرحلة الطفولة تؤكد على ان الطفل لديه استعداد فطري لممارسة الفن، وباعتبار ان مجال الحرف التراثية قائمة على ممارسة الفنون المختلفة، فهناك علاقة وثيقة تربط بين ممارسة الفن ومجال الحرف التراثية، مما يجب إتاحة الفرص للطفل أن يدخل الواقع الملموس للحرف حتى يتم تكوين الخبرة، التي تمكنه من النمو في هذا الاتجاه ويكون مبدعا.

إلا ان الباحثين والتربويين لم يلقوا الضوء على ذلك، ومن هنا يمكن تحديد مشكلة البحث في التساؤل التالي: كيف يمكن أن تكون الحرف التراثية مجالا إبداعيا للطفل المصري؟

فرض البحث

أن الحرف التراثية تعد مجالا ابداعيا للطفل المصري.

أهداف البحث

1. التعرف على القدرات الابداعية للطفل في مجال الحرف التراثية.
2. الكشف عن أنواع الحرف التراثية التي يمكن ان يبدع فيها الطفل.
3. العمل على استثمار ابداع الطفل في مجال الحرف التراثية.

حدود البحث

تقتصر حدود البحث على بعض مجالات الحرف التراثية وهي أشغال الحفر على الخشب، الفسيفساء، لطفل المرحلة الابتدائية من سن 7: 12 سنة.

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في النقاط التالية :

1. تنمية القدرات الابداعية لدى الطفل في مجال الحرف التراثية.
2. تدعيم الاقتصاد القومي من خلال الطفولة في مجال الحرف التراثية.
3. طرح آفاق جديدة لاستثمار ابداعات الطفل في مجال البحث العلمي.

منهجية البحث

يتناول البحث المنهج الوصفي التحليلي في إطار نظري من خلال المحاور التالية:

أولاً: علاقة الارتباط بين فنون الأطفال والحرف التراثية.

ثانياً: أسس مراحل العملية الابداعية.

ثالثاً: سمات ومقومات الابداع عند الطفل.

رابعاً: وسائل تنمية الابداع في مجال الحرف التراثية.

خامساً: النتائج والتوصيات.

أولاً: علاقة الارتباط بين فنون الطفل ومجال الحرف التراثية

تنتقل الفنون والحرف من جيل الى آخر، وترتبط ببيئة معينة نابعة في الأصل من عادات وتقاليده الشعوب واحتياجاتهم من خلال توافر الخامات التي يتم تطويعها لسد الاحتياجات الأساسية مع الاهتمام بالمظاهر الجمالية، وقد كانت جميعها في الأصل حرف يدوية، نظراً لعدم وجود الآلات الحديثة او المتطورة، وبعض هذه الحرف التراثية قد تطورت صناعتها على مر العصور نتيجة التطور التكنولوجي وبعضها ما زال يدويا وبعضها اضمحل او انتهى نهائيا.

وقد تعددت أنواع الحرف التراثية في مصر على مر العصور، فمنها الصناعات النسجية المختلفة، مثل صناعة السجاد بأنواعه والمعلقات النسجية، واعمال التطريز والتلى وأشغال الخرز والخيامية، ومنها الصناعات المعدنية مثل النقش على المعادن (النحاس والفضة)، او الزجاج الملون المعشق بالرصاص، ومنها الصناعات الخشبية مثل المشغولات الخشبية، والخشب المطعم والتكفيت والترصيع والخرط والحفر على الأخشاب، ومنها الصناعات المرتبطة بالعمارة، وأعمال الفسيفساء والجص والمشربيات، والصناعات الأخرى مثل تشكيل الزجاج ونحت العظام والخزف والفخار وغيرها، وقد إنضمت مدينة القاهرة الى شبكة المدن الإبداعية التابعة لمنظمة اليونسكو في أواخر عام 2017، ومن الجدير بالذكر ان هذه الشبكة تضم 180 مدينة فقط على مستوى العالم من 72 دولة مختلفة، وقد حظيت مصر بان تكون لها دور بمدينة أسوان ايضا التي انضمت الى الشبكة مند عام 2005، مما يؤدي الى الحفاظ على الحرف اليدوية، التي أشرفت على الاندثار، مما أدى ذلك الى توفير الامكانيات للارتقاء بالمهارات الفنية والصناعية في تلك الحرف والتشجيع على مزاولتها ، وتسويق منتجاتها محليا وعالميا.

1- متطلبات الحرف التراثية

تتطلب ممارسة الحرف التراثية بعض المتطلبات التي تخص كل حرفة تراثية التي تتمثل فيما يلي:

- أ. التدريب المتقن على استخدام الأدوات والأجهزة

- ب. الالمام بمميزات وعيوب الخامات المختلفة
 ج. العمل على توافر المدربين ذو الخبرة العالية
 د. الاهتمام باستثمار التراث الحرفي
 هـ. استمرارية الدعم الاقتصادى للحرف التراثية

أ- التدريب المتقدم على استخدام الأدوات والأجهزة

ان كل حرفة أو صناعة لا سيما وان كانت حرفة تراثية تعتمد فى ممارستها على استخدام مجموعة من الأدوات والآلات البسيطة منذ بداية نشأتها، ولكن مع ظهور التكنولوجيا الحديثة تطورت هذه الأدوات او الآلات البسيطة لتكون أكثر جدوى، حيث أصبح من الضرورى استخدام التقنيات الحديثة فى تطوير الحرفة نفسها وتطويرها لتتطلب العصر، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فيمكن استخدام ماكينة ال CNC فى أشغال الخشب والتفريغ، مما ينتج عنه سرعة فى الانتاج وجودة عالية فى المنتج، وهذا يتطلب من أجهزة الدولة المعنية اقامة الورش التدريبية الدائمة للتدريب على هذه الاجهزة الجديدة التى تخدم كل حرفة مع كيفية الاستفادة منها، بالإضافة الى توفير الاعتمادات والقروض المالية البسيطة الميسرة.

ب - الالمام بمميزات وعيوب الخامات المختلفة

تعتمد الحرف تراثية فى تشكيلها على خامة واحدة او مجموعة من الخامات المتوفرة عادة فى البيئة، ولكن مع التطور المستمر وظهور خامات جديدة، تستحدث الخامات ومدى ملائمتها لطبيعة الحرفة وكيفية تطويعها، وذلك لرفع كفاءة المنتجات حتى تتمكن من المنافسة عالميا، فيجب على الجهات المعنية مثل غرفة صناعة الحرف اليدوية التابعة لوزارة الصناعة توفير الخامات المحلية، وبدائلها عالية الجودة بأسعار مناسبة لدعم المنتج المصرى فى مقابل المنتجات الأخرى.

ت - العمل على توافر المدربين ذو الخبرة الكفاء

ان انشاء مراكز لإحياء الحرف التراثية والاستعانة بعناصر من أمهر صناع هذه المهن للتدريب تحت اشراف المؤسسات الصناعية والفنية، يسهم فى الوقوف على أسرار ومقتضيات هذه الحرف والحفاظ عليها من الاندثار، ويمكن استقطاب طلاب كليات الفنون بالمشاركة فى الدعوة لإحياء الحرف التراثية، لان تعلم هذه الحرف تسمح بوضع خطوات التطوير فيها وفق دراستهم، ومن الضرورى تفاعل الفنانين الاكاديميين مع الحرفيين التقليديين لابداع تصميمات فنية حديثة متطورة للحفاظ على الملامح الأصيلة للحرفة التراثية.

ث - الاهتمام باستثمار التراث الحرفي

إن الاهتمام بالحرف التراثية من الجهات المعنية بالدولة مثل وزارة الثقافة والفنون ووزارة الآثار ووزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الصناعة، عن طريق عمل كتيبات توعوية، وورش عمل تدريبية، بالإضافة الى إقامة الورش والمصانع الصغيرة، تساعد فى فتح فرص عمل جديدة للشباب، مع الأسواق المدعومة من الدولة لتسويق هذه المنتجات التراثية، مما يحول الدولة من مستهلكة الى دولة مكنتية بالانتاج المحلى وبالتالي غنية من عائد التصدير للدول الأخرى، كما تعتبر أيضا عامل جذب سياحى لتفرد وتميز هذه المنتجات اليدوية، إضافة الى رسوخ مبدأ البعد الثقافى كدولة ذات إرث حضارى يجعلها تصمد أمام الدول المتقدمة بميزتى الابداع التراثى والتنافسية، كما يمكن انشاء مواقع على شبكة الانترنت مدعومة من قبل الدولة لعرض المنتجات من الحرف التراثية والتعريف بها، ليس فقط للبيع محليا وانما لفتح أسواق جديدة لها عالميا.

ج - استمرارية الدعم الاقتصادي للحرف التراثية

يسهم الدعم الاقتصادي في توافر فرص العمل ورأس المال الأقل نسبيا من الصناعات الاخرى وقابليتها لاستيعاب أيدي عاملة بمؤهلات تعليمية منخفضة، حتى تعتمد أغلب الصناعات والحرف التراثية على الموارد والخامات المحلية، بالإضافة الى مساهمة المرأة في ممارسة الحرفة في بيتها كربة منزل لزيادة دخل الأسرة دون المساس بمسئولياتها الأخرى تجاه الأسرة، من خلال استخدام التقنيات الصناعية البسيطة والأدوات البسيطة مما يجعل من التدريب عليها أمرا سهلا ومنخفض التكاليف، لتحقيق التنمية في جميع المناطق من قرى ومدن ، حتى تصبح المجتمعات لها إنتاجية جديدة في مناطق نائية، مع مرونة التغيير والتطوير في هذه الحرف التراثية تبعا للمواد الأولية والخامات ، وتبعا لاحتياجات المستهلك المحلي او احتياجات السياحة، وإمكانية استمرار وتبادل الخبرات من أصحاب هذه الحرف التراثية الى المتعلمين والمتدربين وذلك بأقل التكاليف.

2- أسس تخطيط الحرف التراثية

ان العصر التكنولوجي الذي نعيش فيه الآن يزخر بالعديد من خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية ومنها التخطيط لمستقبل الحرف التراثية، مع ضرورة مسايرتها للعصر، وذلك يتطلب ضرورة التنسيق بين الاجهزة المعنية عن طريق التخطيط، الذي يتطلب الارتكاز على بعض النقاط التالية:

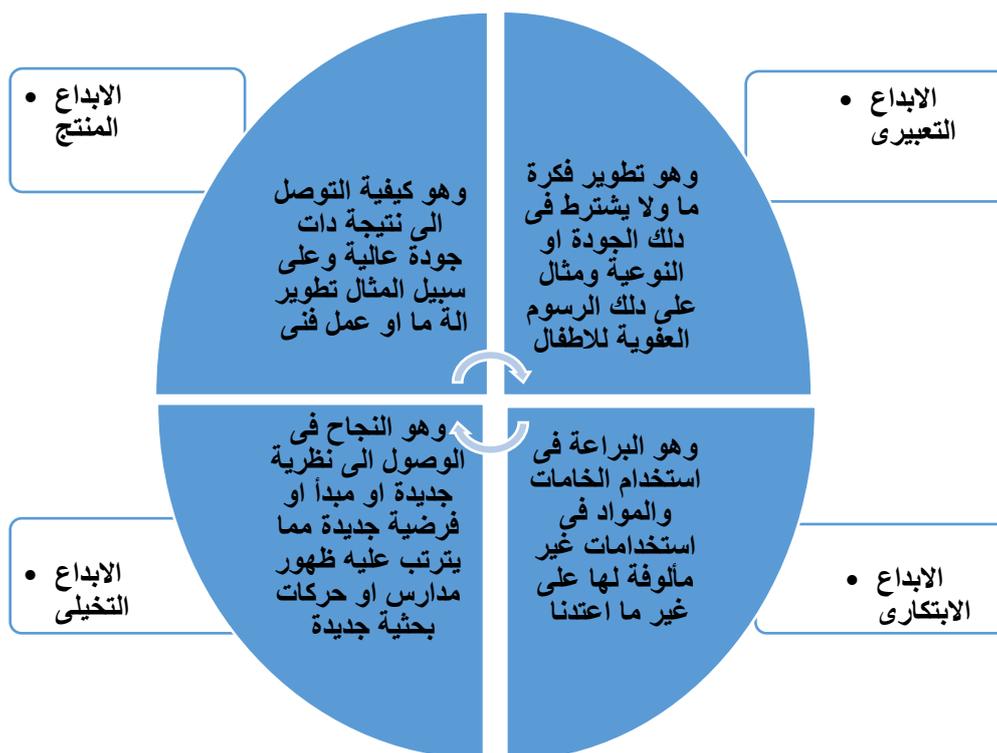
- أ- ضرورة تغيير المفهوم السائد عن الخامات البيئية لادراك نواتجها الابداعية.
- ب- ضرورة دراسة الثقافة البيئية التراثية للوقوف على أسباب ضمور واضمحلال بعضها أو عدم تطور البعض الآخر.
- ت- ضرورة الأخذ في الاعتبار عند التخطيط الوعي الكامل بالاستفادة من التكنولوجيا المعاصرة.
- ث- ضرورة التعاون بين الاجهزة التعليمية والثقافية والصناعية والاعلامية لتحقيق التنمية الشاملة.
- ج- ضرورة زيادة الوعي بأهمية الفنون والحرف التراثية للحفاظ على الهوية والتميز بين الثقافات المختلفة.
- ح- ضرورة التخطيط التسويقي من خلال وضع بعض الخطط التنموية حسب احتياج السوق المحلي والسياحي.¹

ثانيا: أسس مراحل العملية الابداعية

تعتبر عملية الابداع من العمليات الانسانية، التي تتفاعل فيها الخبرات والممارسات المختلفة التي تدفع الى منتج جديد، ويمكن تعريف الابداع على انه هو القدرات والاستعدادات الانسانية المتفاعلة بدون تدخل خارجي، يسعى لحل مشكلة تواجه الشخص المبدع.

وهناك تعريف آخر انه استعداد الفرد وقدرته على الخروج عن المألوف او التسلسل الطبيعي، الى ما هو ابعد واستعدادة لخلق نواتج او أفكار جديدة، وهو القدرة الشخصية على رؤية ما لا يراه الآخرون من أجل حل مشكلة ما، بعناصر ومفردات بسيطة قد تكون موجودة في الأصل ويعاد ترتيبها او استخدامها بأسلوب مختلف، لتطوير وتحسين الشكل او الأداء او المواصفات امنتج موجود بالفعل، ومفهوم الابداع هو مفهوم أشمل وأعم، ويظهر الابداع نتيجة للاحساس بمشكلة ما او استنتاج بعض التغييرات، والشعور بضرورة حلها او استنباط بعض الفرضيات الجديدة لها، او اعادة صياغة معطياتها للتوصل الى نواتج مرضية، وبعد تعريف الابداع سوف نتعرض لانواع عملية الابداع التي تتكون من الابداع التعبيري، والابداع الابتكاري، والابداع التخيلي، والابداع المنتج شكل(1)

¹ - هانى ابراهيم جابر (1997) - الفنون الشعبية بين الواقع والمستقبل - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ص 253 الى ص 255



شكل رقم (1) رسم تخطيطي يوضح أنواع الابداع

ان الابداع له أنواع متعددة سواء بتطوير وتجديد فكرة قائمة بالفعل او انتاج فكرة جديدة كلياً او تخيل فرضية او اثبات مبدأ او نظرية، وكل هذه الانواع يمكن ان تأتي مجتمعة او منفصلة مما يفرض علينا دراسة أبعاد الابداع، التي تعتمد على أربعة عوامل هي عامل الطلاقة وعامل المرونة وعامل الاسهاب وعامل الأصالة.

1- أبعاد العملية الابداعية

أ- **عامل الطلاقة**: يعنى عامل الطلاقة الاهتمام بالكم، أى مقدرة الفرد على انتاج كم من الأفكار الكثيرة بسرعة وسهولة لحل مشكلة ما، ولا يستلزم مقياس الطلاقة على قابلية هذه الحلول للتطبيق او نجاحها من عدمه.

ب- **عامل الأصالة**: يعنى هذا العامل مقدرة الفرد على الاستجابة لمعطيات معينة، لاجراء أفكار جديدة متميزة وأصيلة، ولا بد ان تكون مختلفة عن أفكار أقرانه من حيث تنوعها وجدتها، أى ان الفيصل يكون هو الكيف وليس الكم.²

ت- **عامل المرونة**: يهتم هذا العامل بالكيف والتنوع أيضاً، أى يعنى قدرة الفرد الذهنية على التفكير بطرق مختلفة حسب تغير الموقف او المشكلة، ومحاولة حل المشكلة من نواحي متعددة، أى هى القدرة على انتاج أكثر من فكرة حسب المتغيرات والمثيرات التابعة لهذه المشكلة، وبهذا نجد ان عامل المرونة من اهم عوامل العملية الابداعية لانه عكس الجمود الفكرى والتقوالب فى افكار وأشكال نمطية.³

ث- **عامل الإسهاب**: " يعنى هذا العامل قدرة الفرد على استحداث او اضافة تفاصيل واحتمالات جديدة على فكرة قائمة بالفعل، من حيث تطوير الفكرة وقد ينتج عن هذه الاضافة تغيير الفكرة كلياً او جزئياً، وايضا يعمل على الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة الغير مألوفة عادة.⁴

² - زيد الهويدى (2004) - الابداع ماهيته واكتشافه وتنميته - الطبعة الاولى - دار الكتاب الجامع - العين - الامارات العربية المتحدة - ص 117، 118، 28

³ - سعيد عبد العزيز (2006) - المدخل الى الابداع - الطبعة الاولى - دار الثقافة للنشر والتوزيع - الاردن - ص 164

⁴ - ناديا هايل سرور (2002) - مقدمة فى الابداع - الطبعة الأولى - دار وائل للنشر - القاهرة - ص 119

2- مراحل العملية الإبداعية

تمر العملية الإبداعية بعدة مراحل متتابعة حتى تتكامل وتحقق الهدف المنشود وهي مرحلة الإعداد ومرحلة الاحتضان ومرحلة الاشراف ومرحلة التحقيق التي تجعل من عملية الابداع منطلق ايجابي في مجال الحرف التراثية.

أ- مرحلة الإعداد preparation

تعتمد مرحلة الإعداد على تحديد المشكلة، ومحاولة معرفة المشاكل التي تشابهها فيما قبل ومقارنة هذه المشاكل ببعض، مع التعرف على الطرق السابقة لحلها، حتى الوصول الى استنتاج حلول للمشكلة الراهنة.

ب- مرحلة الإحتضان Incubation

يطلق على مرحلة الإحتضان في بعض المراجع مرحلة "الإختمار"، وهي ترك المشكلة لفترة من الزمن كي ينتج العقل الباطن - لاشعوريا - حولا لها يستحضرها العقل وكأنها وليدة اللحظة عند التفكير في المشكلة آنفا.

ت- مرحلة الاشراف أو ظهور الفكرة illumination

تعتبر مرحلة الاشراف هي ظهور فكرة او عدة أفكار متصلة لحل المشكلة القائمة قد تكون قابلة او غير قابلة للتطبيق.

ث- مرحلة التحقق او التنفيذ verification

مرحلة التحقيق هي مرحلة اختيار أحد الحلول التي توصل اليها المبدع في مرحلة الاشراف او التنوير، ويأتي ذلك بعد تجربة او استيضاح كل الحلول الممكنة، والتأكد من صحة أحد هذه الحلول وقابليتها للتحقق او التطبيق.⁵

3- علاقة الابداع بالدكاء والموهبة عند الاطفال

يعتبر الدكاء أحد الركائز الأساسية للعملية الإبداعية، ولكن لا يشترط ان تكون نسبة الدكاء عالية، فالرغبة في الانتاج المبدع مع العمل الدؤوب والتجربة والخطأ والتعلم والتمرين المستمر، ينتج عملا مبدعا في كثير من الأحيان، والفارق بين الابداع والدكاء كبير، لان اختبارات الدكاء دائما تتطلب اجابة صحيحة واحدة فقط لكل سؤال، يمكن ان تكون متطابقة في جميع الاحيان، وانما الابداع هو كيفية ايجاد عدد من الاجابات المختلفة والجديدة لنفس السؤال، اما الموهبة فهي جزء من الابداع ونجد ان العمل الاكثر ابداعا يخرج من الفرد الاكثر موهبة، والموهبة تولد مع الانسان ولا تكتسب، وانما تنمي وتثقل بالتعلم والتمرين، لذلك نجد ان هناك علاقة مباشرة وارتباط وثيق بين الابداع والدكاء والموهبة.

ان القدرات الإبداعية تنمو وتتغير معتمدة اعتمادا كبيرا على النمو العمري عند الأطفال والراشدين، ووجد ان اول التغيرات الواضحة والملاحظة في طريقة التفكير الإبداعي تظهر في الصف الرابع الابتدائي اي في سن التاسعة تقريبا ويستمر منحنى التغيرات في الصعود سريعا الى سن الرابعة عشر، ثم يستمر المنحنى في الصعود ولكن بسرعة أقل حتى سن الثلاثين، وما بعد ذلك بسرعة أكثر ببطء، وينتج ذلك نتيجة لان مرحلة الطفولة الى سن الرابعة عشر تقريبا يكون الفرد اكثر اكتشافا لما حوله وأكثر جرأة ولا يعبأ بالنتائج ولا يتقيد بقوانين ثابتة، وانما الميل نحو التجريب والفعل ومعرفة الاسباب او النتائج هو المحرك الاساسي لهذه الفئة العمرية، ونجد ان كل هذه السمات - تحتاج الى اهتمام وتوجيه - من عوامل اظهار العملية الإبداعية، مما سبق نجد انه يمكن تدريب الطفل علي الابداع وتنميته، مند الصغر عن طريق تشجيع الأطفال على ابداع أفكار مختلفة وجديدة، حتى وان كانت في بعض الاحيان غير مفهومة او غامضة، والطفل الذي ينتج فكرة جديدة في اي مجال يعتبر مميز ولم يتقوّل في التفكير النمطي بل يملك ملكة الابداع ولا بد من الحفاظ عليها وتنميتها حتى تنتج، عن طريق التشجيع والاهتمام بالتوجيه، وعدم الاصراف في النقد وانما مناقشة الفكرة ومعرفة ما وراءها من أسباب ودوافع، من خلال الوعي والفهم، لان الطفولة تتسم بالحرية والانطلاق والابداع دون أي قيود.

⁵ - سعيد عبد العزيز (2006) - المدخل الى الابداع - الطبعة الأولى - دار الثقافة للنشر والتوزيع - الاردن - ص 167، 168

4- العوامل المؤثرة فى تنمية الابداع عند الأطفال

- أ. هناك الكثير من العوامل التى تؤثر إيجابيا وسلبيا على إبداع الطفل، ويمكن حصرها فى محورين هما العوامل السلبية والعوامل الإيجابية، ويعد مجال الحرف التراثية من العوامل الإيجابية فى تنمية السلوك الإبداعي عند الطفل، مع مراعاة السمات الشخصية فى تلك المرحلة، وتتم عملية الإبداع من خلال مجموعة من العوامل هى ما يلى:
- ب. ادراك المقصود بعملية الإبداع، مع تشجيع السلوك الإبداعي.
- ج. السماح للأطفال بحرية إبداء الرأى مع إتاحة الحرية لتساؤلات الطفل والاهتمام وعدم الاستهانة.
- د. تشجيع الطفل ومكافأته عند طرحه لأفكار جديدة.
- ه. عمل مواقف تستثير الإبداع عند الأطفال تسمح لهم بالتجريب والاستكشاف.
- و. السماح للطفل بقدر من الحرية أثناء العمل.
- ز. التركيز على العملية الإبداعية والاداء أثناء العمل، وليس على المنتج النهائى فقط.
- ح. عدم مقارنة منتج طفل بطفل آخر، أو القول بان هناك عملا مثاليا.
- ط. إقتراح خيارات متعددة وترك الحرية للأطفال فى اتخاذ القرارات النهائية لأعمالهم الفنية.
- ي. تجنب التقويم والتوجيه المبالغ فيه.
- ك. تشجيع التعبير الفردى، وكذلك التعبير الجماعى فى أنشطة فردية وأنشطة جماعية⁶.

ثالثا: سمات ومعوقات الإبداع عند الأطفال

يتميز الأطفال عموما بالفضول والخيال الواسع، والبساطة والوضوح فى التعبير، والانفتاح والمرح، كما يتميزون بالحماسة المفرطة، ولديهم قدرة طبيعية هائلة على التخيل وتصديق ما لا يصدق، والثقة بالنفس والشوق لفعل ما يحبونه من هوايات أو نشاطات أو غيره، وكل هذه الصفات انما هى أرض خصبة لتنمية ملكة الإبداع، ويمكن الاستفادة من هذه العوامل فى تعليم الأطفال وتدريبهم على بعض المهارات الحياتية الجديدة وممارستها، ومنها التعرف على الحرف التراثية وطرق تنفيذها والتفاعل مع منتجى هذه الحرف.

1- سمات الطفل المبدع

ونجد ان الطفل المبدع له عدة خصائص تميزه عن أقرانه وهى:

- أ. تنوع اهتماماته
- ب. حب الاستطلاع والميل الى التساؤل والمساءلة
- ج. الانهماك الشديد فى العمل والشغف الى التجريب ومعرفة النتائج
- د. عدم الاستسلام أو الشعور بالاحباط
- ه. الاستقلالية فى التفكير وفى العمل والانتماء له والدفاع عنه
- و. الاحتفاظ بالاتجاه والتركيز على موضوعات بعينها وعدم التشتت عنها
- ز. حب الحرية ورفض القيود المفروضة عليه سواء فى التفكير أو فى العمل
- ح. الحاجة للدعم والاهتمام والثناء⁷

⁶ - حنان عبد النبى السيد - التربية الحسية فى مرحلة الطفولة المبكرة " التشكيل الفنى بالعجائن " - دار الكتاب الحديث - 2012 - القاهرة - ص 163 - 164

2- معوقات الابداع عند الأطفال

كما سبق وان ذكرنا فان الاطفال موهوبون بالفطرة ووظيفتنا هي البحث عن نوعية الموهبة ومجالها، ثم ثقلها وتطويرها وتنميتها ودعمها. وفي أغلب الاحيان فان عملية تنمية الابداع تقابل ببعض المعوقات مما يقضى عليها ويعوق نمو التفكير الابداعي، منها معوقات شخصية لدى الطفل نفسه، او معوقات في المدرسة، او في المجتمع المحيط به.

3 - معوقات الابداع شخصية

- أ. ضعف الثقة بالذات
- ب. الخوف الدائم من العقاب
- ج. قلة وجود التحدى والحافر على الفعل
- د. النقد الدائم⁸

4 - معوقات الابداع في المدرسة

- أ. طرق التدريس التقليدية
- ب. المناهج المكتظة بما لا يلائم الفئات العمرية المختلفة
- ج. أساليب التقويم التي تعتمد على حفظ ما تم تلقينه
- د. عدم مراعاة الفروق الفردية لدى الاطفال⁹
- هـ. عدم الاهتمام بالهوايات واعتبارها غير ذات نفع

5- معوقات الابداع في المجتمع

- أ. عدم الانفتاح على البيئات والمجتمعات الأخرى
- ب. انتشار الامية والجهل والبطالة
- ج. إهمال المواهب والقدرات الشخصية للأفراد والاهتمام بالجماعة
- د. مقاومة التجديد¹⁰

نخلص من ذلك ان جميع المعوقات التي ذكرت مسبقا تعيق ظهور العملية الابداعية ولكنها بالأخص تؤكد على دور المجتمع والبيئة المحيطة في القضاء على الابداع، وان الطفولة لا يمكن لها ان تزدهر وان تتطور ابداعيا خارج فضاءها التربوي السليم.

رابعاً: وسائل الابداع في الحرف التراثية

ان الانتقال من التربية الحرفية التقليدية الى التربية الحرفية المعاصرة، هو أمر شديد التعقيد والصعوبة، لانه أمر يحتاج الى الانتقال من ظاهرة كاملة من الأساليب الموروثة الى ظاهرة عصرية، اى الانتقال من ثقافة المحاكاة لكل ما هو موروث الى ثقافة الابداع والاستلهم، اى الى ثقافة معرفية تكنولوجية خواصها التجديد والتحديث، وهى أمور تعود الى التربية الابداعية، وعلى الشخصية المتفردة وعلى الجماعة الخلاقة، وتأكيدا على ذلك فقد سبق وان كانت الاشكال التربوية والتدريبية فى مجال الحرف التقليدية، تدور حول إعداد الصبية بالمحاكاة والتوقف عند ملامح الحرفة الشائعة والمتعارف

⁷ - فتحى عبد الرحمن (2002) - الابداع مفهومه ومعاييره ومكوناته - الطبعة الاولى - دار الفكر للطباعة والنشر - الاردن - ص 113 الى

116

⁸ - سعيد عبد العزيز (2006) - المدخل الى الابداع - الطبعة الأولى - دار الثقافة للنشر والتوزيع - الاردن ص 123 الى ص 126

⁹ - فتحى عبد الرحمن مروان (2002) - الابداع مفهومه ومعاييره ومكوناته - الطبعة الاولى - دار الفكر للطباعة والنشر - الاردن - ص 105

¹⁰ - سعيد عبد العزيز (2006) - المدخل الى الابداع - الطبعة الاولى - دار الثقافة للنشر والتوزيع - الاردن - ص 128

عليها، وفي حدود خصائصها الانتاجية الوراثة. أما مع أدوات العصر التكنولوجية والبرمجة العلمية في حياة المجتمع، فلا بد وان تنتقل التربية من موضوعها التقليدي الى التربية الحديثة حتى تكتمل الظاهرة ككل. وعلى هذا فان التأكيد على أهمية التربية الحرفية المعاصرة هو دفع عنصر الابداع كقوة ترقى عند أبنائنا، ليتواجد بين صفوفهم المجددون المبدعون القادرون على الاستلها من ثقافتهم الأصيلة، والتمكنون من توظيف مواد الاستلها توظيفا جديدا صحيا بصياغة بنائية مصرية، وذلك من خلال النقاط التالية :

1- تنمية التدوق الفني عند الأطفال

من أهم ما توصلت له الابحاث السابقة ان القدرة الابداعية ليست قاصرة على انسان دون الآخر، وانما هي موجودة عند كل فرد بدرجات متفاوتة تعتمد على ميوله وقدراته ومدى ما يبده من جهد في التعلم والتدريب، وعلى هذا برزت ضرورة تنمية التدوق الفني لدى الاطفال من سن مبكرة، ويتم ذلك بعدة طرق منها زيارة المتاحف والاماكن الأثرية، وتوضيح أوجه القوة والجمال في التصميمات والتقنيات المختلفة لمعرفة قيمة الأعمال الأصلية لمختلف الحرف التراثية ومشاهدتها عن قرب، وتعريف الاطفال بموروثاتهم الفنية وتشويقهم لمعرفة طرق صناعتها بشرح سهل وبسيط، ومحاولة ممارسة تلك الفنون او الحرف بصورة مصغرة، الزيارات الميدانية المستمرة لارباب هذه الحرف التراثية ورؤية المراحل الانتاجية مما ينمي لديهم الشغف لمعرفة المزيد او الشغف للتجريب.

2- شرح النماذج الجيدة

ان الاطفال بطبيعتهم شغوفون للمعرفة وحب الاستكشاف، وبالتالي فعند رؤية الطفل لاي نموذج فني جيد فلا بد من شرح قيمة هذا الابداع جماليا ووظيفيا ومحاولة اشراك الطفل في الشعور بجمال التراث عن طريق شرحه بطريقة بسيطة وشيقة، واجتياز ذلك الى شرح تفاصيل هذا النموذج واختيار الخامات والالوان، والتطرق الى امكانية تغيير جزء من هذا النموذج ليصبح عملا آخر بقيمة جمالية ووظيفية أخرى، مما يحفز الطفل على إعمال عقله ومحاولة التفكير فيه وفي كيفية تطويره ربما بخامات أخرى او ألوان أخرى او طريقة أخرى، وتبدأ بهذه الطريقة رحلة الابداع لديه.

3- أهمية التجريب

ضرورة التشجيع على التجريب للعمل او النموذج، وذلك من شأنه التشجيع على ابتكار تصميمات جديدة او استخدام خامات مختلفة او العمل بأسلوب مختلف واعادة صياغة الفكرة بصورة جديدة، وألا يقتصر العمل في الاشغال العملية على الأداء المدرسي المنهجي المحدد بتمارين معينة فقط، وانما اتاحة الفرصة للتجريب المستمر الغير مشروط بمعرفة النتيجة مسبقا.

4- اكتشاف المواهب للارتقاء بالصناعات التراثية

دائما ما نلاحظ تعدد صور الخلق الفني ولكنه في أغلب الأحيان يكون مقرون بحرفة او صناعة، وعلى هذا وجب الاهتمام بالاشغال العملية في المدارس، وليس المقصد من ذلك هو تعليم حرفة ما كحرفة النجارة على سبيل المثال ليصبح التلاميذ فيما بعد نجارين، وانما يعتبر ذلك وسيلة للتوجيه المهني وتنمية القدرات والمهارات واكتشاف المواهب، حيث تقدم لهم الفرص لشتى المعارف، فيتعرفون على العدد والآلات وطرق العمل بها والعمليات الصناعية المختلفة، كما تقدم لهم

فرص لاكتساب المهارات الصناعية والترغيب فيها والتوجه نحو العمل اليدوى، وتقديره والاعتزاز به، وهى الاتجاهات اللازمة فى العمل الصناعى، إذا ما اختار الطالب فيما بعد الالتحاق باحد الكليات الهندسية او الصناعية أو الفنية.¹¹

5- وضع برامج ارشادية فنية وصناعية

يعرف البرنامج الارشادى الفنى او الصناعى على انه خطة عمل مدروسة من قبل المختصين فى هذه المجالات، تعتمد على إيجاد وتطوير المهارات المنظمة بطريقة متدرجة، بهدف توضيح المفاهيم المختصة بحرفة معينة مثلا، بغية الوصول الى مجموعة من النقاط التى تساعد على التطوير او التحسين فى تلك الحرفة او نواتجها الابداعية، وذلك عن طريق المساعدة على تطوير القدرات الشخصية خلال البرنامج وزيادة الوعى بالعوائق والمشكلات القائمة.

6- الطريقة التى يجب ان يقوم عليها البرنامج الارشادى

يجب ان تقوم البرامج الارشادية على طريقة الارشاد الجمعى لما لها من مزايا كالتالى:

- أ. ترشيد الاستهلاك فى المصاريف والوقت والجهد
- ب. الاستفادة من روح التعاون فى التعليم الجمعى ، مما يكسب المتمرن صفات كثيرة منها التفاعل البناء والانسجام مع الآخرين كما تكسبه الثقة بالنفس والاحساس بان دوره فعال وان كان صغيرا
- ج. التعود على احترام رأى الآخر حتى وان كان خطأ من وجهة نظرى
- د. التدرج فى تعلم المهارات المختلفة
- هـ. تنمية الشعور بالانتماء
- و. تزيد من المنافسة بين أفراد المجموعة لاجراء افكار ابداعية متطورة
- ز. اكتساب خبرات متبادلة لتطوير المهارات الابداعية.

خامسا: النتائج والتوصيات

1- النتائج

- أ. ان الحرف التراثية لها دور كبير فى تنمية الابداع عند الأطفال.
- ب. إن عملية الابداع فى مجال الحرف التراثية يسهم فى بناء شخصية الطفل.
- ج. ان الحفاظ على الحرف التراثية عند الطفل ينمى الهوية الثقافية والاجتماعية والحضارية.
- د. ان تطوير الحرف التراثية يؤدى الى تطوير المنتجات المختلفة لمواجهة متطلبات السوق المحلى والعالمى.

2- التوصيات

- أ. ضرورة العمل على تطوير مقياس التفكير الابداعى فى مدارس المرحلة الابتدائية.
- ب. ضرورة توفير البيئة المدرسية التى تشجع الانشطة الابداعية التى تنمى التفكير لدى الأطفال.
- ج. ضرورة عقد العديد من التدريبات العملية للحرف التراثية بالمدارس التعليمية.
- د. ضرورة الاهتمام بالأطفال فى المرحلة الابتدائية لتأهيلهم على ممارسة الحرف التراثية.

¹¹ - محمود عبد العال (2002) - النجارة العربية فى مصر ومشاهير صناعتها - الشركة المصرية العلمية للنشر - لونجمان - الطبعة الأولى - القاهرة ص 58الى ص 60

المراجع

1. الصباغ، أحمد سالم - المدخل الى هندسة الانتاج - مكتبة دار المعرفة - القاهرة . (2009)
2. الخليلى، أمل - تنمية قدرات الابتكار لدي الأطفال - مكتبة دار الصفاء للنشر والتوزيع - عمان (2005)
3. عبد الحميد، جابر - علم النفس التربوي - دار النهضة العربية - القاهرة (1981)
4. السيد، حنان عبد النبي - التربية الحسية فى مرحلة الطفولة المبكرة، التشكيل الفنى بالعجائن - دار الكتاب الحديث - القاهرة (2012)
5. عبد العزيز، سعيد - المدخل الي الابداع، الطبعة الأولى - دار الثقافة للنشر والتوزيع - الأردن.
6. محمد، فهيم مصطفى - الطفل ومهارات التفكير في رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية، رؤية مستقبلية للتعليم في الوطن العربي - دار الفكر العربي - القاهرة (2001)
7. حسني، محمود - إدارة أنشطة الابتكار والتغير، دليل انتقائي للمنظمات - دار المريخ للنشر - السعودية (2004)
8. عبد العال، محمود - النجارة العربية في مصر ومشاهير صناعها - الشركة المصرية العلمية للنشر - لونجمان - الطبعة الأولى - القاهرة (2002)
9. جابر، هاني ابراهيم - الفنون الشعبية بين الواقع والمستقبل - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة. (1997)